حكايات ألف ليلة
5

الملك يونان والحكيم دويان

بقلم : أ . عبد الحميد عبد المقصود
رسوم : أ . اسماعيل دياب
إشراف : أ . حمدي مصطفى



الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

يُحْكَى أَنَّهُ كـانَ فى قَدِيمِ الزَّمَانِ ، وسَالِفِ الْعَصْرِ والأَوَانِ ، فى أَرْضِ رُومَان مَلِكٌ عَظِيمُ الشَّأنِ ، يُسَمَّى المَلِكَ (يُونَان) ..

وكَانَ الملِكُ (يُونَان) ذا مَالٍ كَثِيرٍ وأَعْوانٍ ، ولَمْ يَكُنْ يُنَغِّصُ عَلَيْهِ حَيَاتَهُ سِوَى شَىءٍ وَاحِدٍ ، فَقَدْ أُصِيبَ الملِكُ بِبَرَصٍ فى جِلْدِهِ ، حَارَتْ فى عِلاجِهِ الأَطِبّـَاءُ ، وعَجَزَتْ عَنْ مُداوَاتِهِ الحُكَمَاءُ ..

وبِسَبَبِ ذَلِكَ الْمَرَضِ كَانَ الملِكُ كَثِيرَ الْحُزْنِ ، عَازِفًا عَنْ لِقَاءِ النَّاسِ ، فَعَاشَ فى شِبْهِ عُزْلَةٍ ، يُصَرِّفُ شُئُونَ مُلْكِهِ مِنْ دَاخِلِ قَصْرِهِ ..

وذَاتَ يَوْمٍ قَدِمَ إِلَى مَدِينَةِ الملِكِ (يُونَان) حَكِيمٌ نَابِهٌ يُقَالُ لَهُ الحَكِيمُ (دُويَان) ..

كَانَ الحكِيمُ (دُويَان) عَالِمًا بِأُصُولِ الطِّبِّ والحِكْمَةِ ، دَرَسَ الأَعْشَابَ والنَّبَاتَاتِ ، وعَلِمَ مَضَارَّهَا ومَنَافِعَهَا ، فَلَمَّا دَخَلَ الْمَدِينَةَ سَمِعَ مِنَ النَّاسِ عَنْ إِصَابَةِ مَلِكِهِمْ بِمَرَضِ الْبَرَصِ الَّذِى عَجَزَتِ الأَطِبَّاءُ والحُكَمَاءُ ، عَنْ مُدَاوَاتِهِ ..

وفى الْيَوْمِ التَّالى تَوَجَّهَ الحكِيمُ (دُويَان) إِلَى قَصْرِ الملِكِ (يُونَان) فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى الملِكِ حَيَّاهُ ، وعَرَّفَهُ بِنَفْسِهِ .. ثُمَّ قَالَ :



- أَيُّهَا الملِكُ ، بَلَغَنِى مَا أَلَمَّ بِكَ مِنَ مَرَضٍ ، حَارَ فِى عِلاجِهِ الأَطِبَّاءُ ، وقَدْ حَضَرْتُ لأُدَاوِيكَ مِنْ هَذَا المَرَضِ ، دُونَ أَنْ أَسْقِيكَ دَوَاءً ، أَوْ أَدْهِنَكَ بِدِهَانٍ ..

فَلَمَّا سَمِعَ الملِكُ كَلاَمَهُ ، تَعَجَّبَ مِنْهُ وقَالَ :

- إِنْ شَفَيْتَنِى مِنْ هَذَا الْمَرَضِ - كَمَا تَقُولُ - أَغْدَقْتُ عَلَيْكَ الأَمْوَالَ والْهَدَايَا ، وأَغْنَيْتُكَ وقَرَّبْتُكَ مِنِّى ، وحَقَّقْتُ لَكَ كُلَّ ما تَتَمَنَّاهُ فى هَذِهِ الْحَيَاةِ ..

فَقَالَ الحكِيمُ (دُويَان) :

- إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَشْفِيكَ مِنْ مَرَضِكَ ، دُونَ تَعَبٍ ولاَ مَشَقَّةٍ ..

فَقَالَ الملِكُ :

- فى أَىِّ وَقْتٍ تَبْدَأُ عِلاجَكَ أَيُّها الحكِيمُ ؟

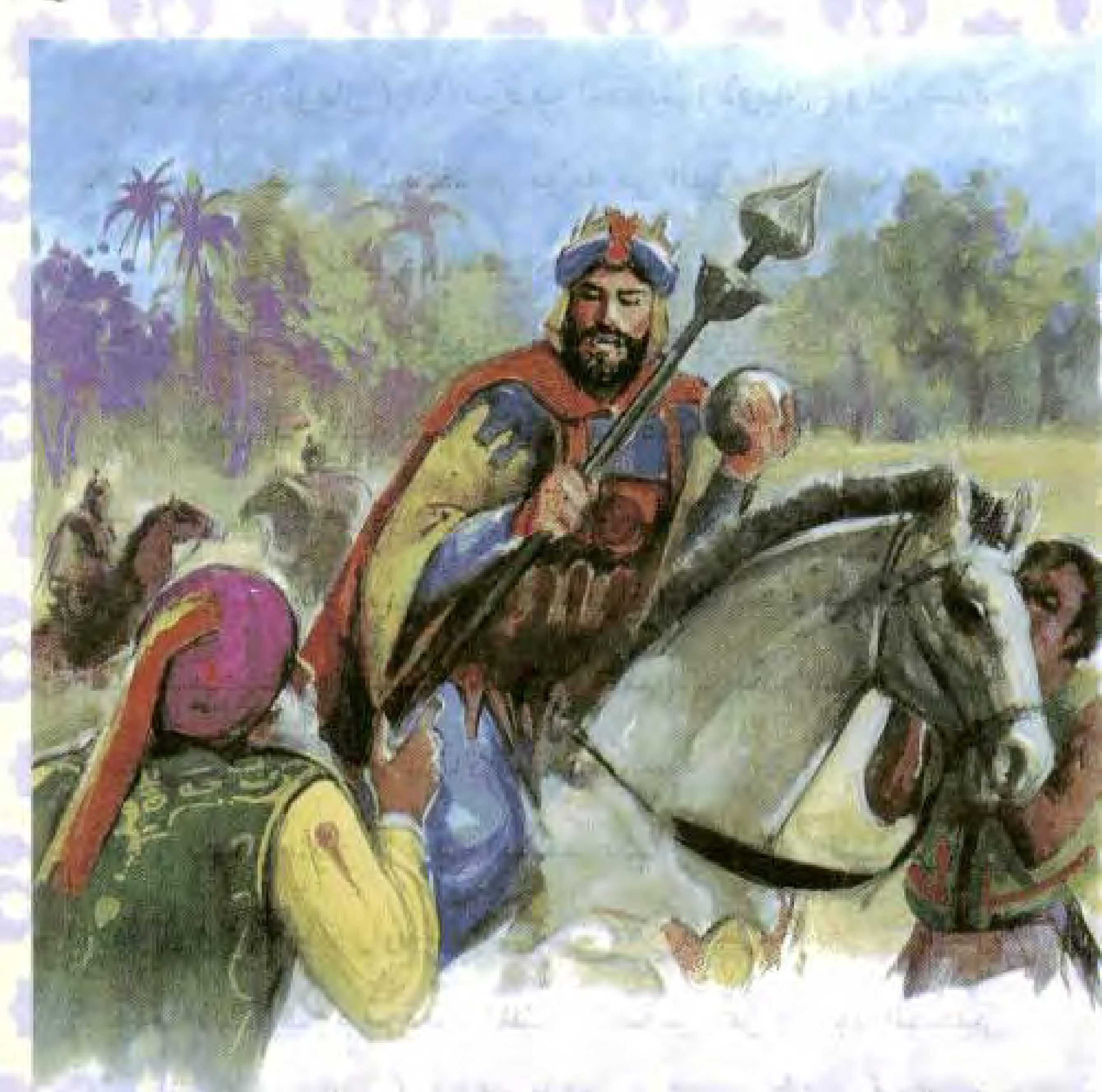
فَقَالَ الحكِيمُ (دُويَان) :

- غدًا نَبْدَأُ الْعِلاجَ بِإِذْنِ اللَّهِ ..

واسْتَأْذَنَ الحكِيمُ عائِدًا إِلى بَيْتِهِ ، جَهَّزَ الْعَقَاقِيرَ والأَدْوِيَةَ ، الَّتِى سَيُعَالِجُ بِها الملِكَ .. ثُمَّ قَامَ بِخَلْطِهَا مَعًا ، حَتَّى صَارَتْ عَجِينَةً ، فَصَنَعَ مِنْهَا صَوْلَجَانًا ، جَعَلَهُ مُجَوَّفًا مِنَ الدَّاخِلِ ، ووَضَعَ بِداخِلِهِ عَصًا ، حَتَّى يُقَوِّيَهُ .. ثُمَّ صَنَعَ لِهَذَا الصَوْلَجانِ كُرَةً ..

وفى الْيَوْمِ التَّالِى تَوَجَّهَ الحكِيمُ بِالْكُرَةِ والصَوْلَجَانِ إِلَى الملِكِ ، وطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَرْكَبَ جَوَادَهُ إِلَى الْمَيْدانِ ، ويَلْعَبَ بِالْكُرَةِ والصَوْلَجَانِ ..

خَرَجَ الملِكُ مَعَ الْحُجَّابِ والْوُزَرَاءِ إِلَى مَيْدَانِ السِّبَاقِ ، ورَكِبَ جَوَادَهُ ، فَأَعْطَاهُ الحكِيمُ الْكُرَةَ والصَوْلَجانَ قَائِلاً :



ـ خُذْ هَذَا الصَّوْلَجَانَ ، واقْبِضْ عَلَيْهِ بِيَدِكَ بِقُوَّةٍ ، واضْرِبْ بِهِ الكُرَةَ ، حَتَّى يَعْرَقَ كَفُّكَ ويَنْفُذَ إِلَيْهِ الدَّوَاءُ ، ثُمَّ يَسْرِى فى سَائِرِ جَسَدِكَ .. ثُمَّ عُدْ إِلَى الْحَمَّامِ واغْتَسِلْ ، ثُمَّ اذْهَبْ إِلَى فِرَاشِكَ ونَمْ ، فَإِنَّكَ تَبْرَأُ مِنْ مَرَضِكَ ، بِإِذْنِ اللَّهِ ..

نَفَّذَ الملِكُ (يُونَان) ما أَمَرَهُ بِهِ الحكِيمُ (دُويَان) ومِنْ شِدَّةِ دَهْشَتِهِ أَنَّهُ عِنْدَمَا اسْتَيْقَظَ مِنْ نَوْمِهِ فى الْيَوْمِ التَّالِى ، لَمْ يَجِدْ بِجَسَدِهِ أَىَّ أَثَرٍ لِلْبَرَصِ ، ورَأَى جَسَدَهُ نَقِيًا مِثْلَ الْفِضَّةِ الْبَيْضَاءِ ، فَفَرِحَ بِشِدَّةٍ ، وتَوَجَّهَ إِلَى كُرْسِىِّ عَرْشِهِ فَجَلَسَ عَلَيْهِ ..

وعَلِمَ أَهْلُ الْمَمْلَكَةِ بِشِفَاءِ الملِكِ مِنْ مَرَضِهِ ، فَتَوَافَدَ عَلَيْهِ الْحُجَّابُ والْوُزَرَاءُ وكِبَارُ رِجَالِ الدَّوْلَةِ ، لِتَهْنِئَتِهِ بِالشِّفَاءِ ..

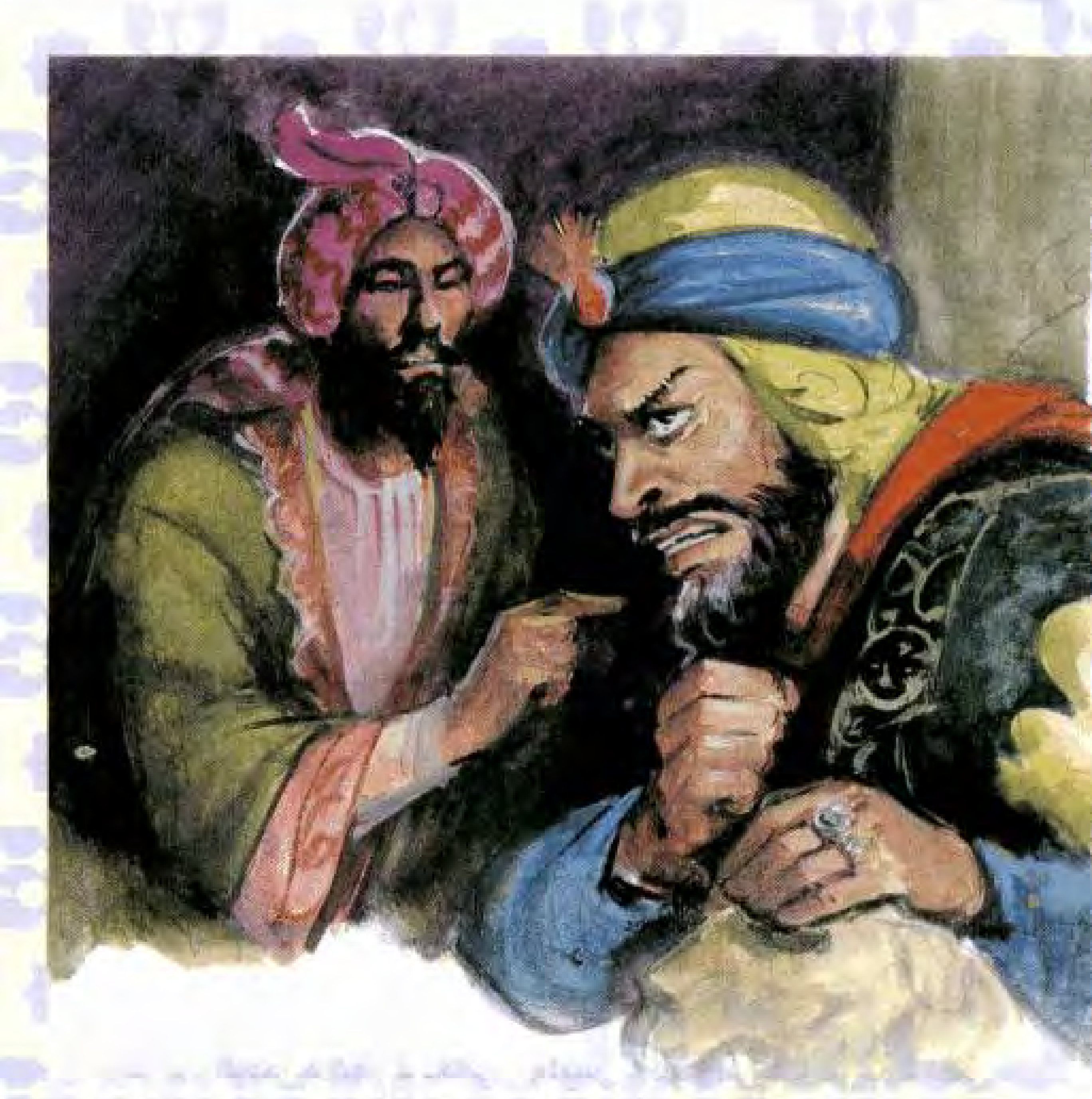
ودَخَلَ عَلَيْهِ الحَكِيمُ (دُويَان) فَفَرِحَ الملِكُ بِقُدُومِهِ ، ونَهَضَ إِلَيْهِ مُعَانِقًا ، وأَجْلَسَهُ بِجِوَارِهِ .. ثُمَّ أَمَرَ بِمَوائِدِ الطَّعَامِ ، فَأُقِيمَتْ فى الْقَصْرِ ، احْتِفَالاً بِهَذِهِ الْمُنَاسَبَةِ ..

وفى نِهَايَةِ الْيَوْمِ أَعْطَى الملِكُ الحكِيمَ (دُويَان) الكَثِيرَ مِنَ الأَمْوَالِ والْهَدَايَا ، وأَرْسَلَهُ إِلَى بَيْتِهِ مُعَزَّزًا مُكَرَّمًا ..

ومُنْذُ ذلِكَ الْيَوْمِ لَمْ يَعُدِ الملِكُ يَسْتَغْنِى عَنْ وُجُودِ الْحَكِيمِ (دويَان) فى مَجْلِسِهِ ، فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِ ، ولَمْ يَعُدْ يَقْضِى أَمْرًا مِنْ أُمورِ الدَّوْلَةِ إلاَّ بِمَشُورَتِهِ ..

وأَثَارَ تَقْرِيبُ الملِكِ للحكِيمِ (دويَان) وإِكْرامُهُ لَهُ حَسَدَ الكَثيرِينَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ مِنَ الملِكِ ..

وكَانَ لِلمَلِكِ وَزِيرٌ لَئِيمٌ بَخِيلٌ حَسُودٌ ، فَلَمَّا رَأَى مَنْزِلَةَ



الحكيمِ تَرْتَفعُ كُلَّ يَوْمٍ عِنْدَ الملِكِ حَسَدَهُ علَى ذَلِكَ ، وقَرَّرَ أَنْ يُغْرِيَ الملِكَ بِالحكيمِ ، حتَّى يَقْتُلَهُ ..

وذاتَ يَوْمٍ تَقَدَّمَ الْوَزيرُ الْخَبيثُ إلَى الملِكِ وقالَ لَهُ :

ـ أَيُّها الملِكُ المُعظَّمُ ، لَقَدْ شَمِلَنا فَضْلُكَ وإحْسانُكَ ، ولِذلِكَ فَمِنْ حقِّكَ عَلَيْنا أَنْ نُبْدِيَ لكَ النَّصيحَةَ ، إِذَا أَذِنْتَ ..

فَقَالَ الملكُ ، وقَدْ أَزْعَجَهُ كَلامُ الْوَزِيرِ :

- تَكَلَّمْ أَيُّها الْوَزِيرُ .. هَلْ تَعْلَمُ شَيْئًا وتُخْفِيهِ عَنِّى ؟

فَقَالَ الْوَزِيرُ فِى دَهاءٍ :

- أَيُّهـا الملِكُ الجَلِيلُ ، لَقَـدْ قَـالَ الحُكَمـاءُ : مَنْ يَنْظُرُ فِى الْعَـواقِبِ فَلَيْسَ الزَّمـانُ له بِصاحِبٍ .. ولَقَدْ رَأَيْتُكَ أَيُّهـا الملِكُ تُكْرِمُ عدُوَّكَ ، وتُنْعِمُ عَلَى مَنْ جاءَ يَطْلُبُ زَوَالَ مُلْكِكَ .. لَقَدْ قَرَّبْتَهُ إِلَيْكَ غَايَةَ الْقُرْبِ ، وأَنا أَخْشَى عَلَيْكَ عاقِبَةَ ذَلِكَ ..

فَفَزِعَ الملِكُ لِمَا سَمِعَهُ مِنَ الْوَزِيرِ وقَالَ لَهُ :

- مَنْ هُوَ عَدُوِّى ، الَّذِى تَزْعُمُ أَنَّنِى أَحْسَنْتُ إِلَيْهِ ؟!

فَقَالَ الْوَزِيرُ :

- الحكيمُ (دويان) ..

فَقَالَ الملِكُ :

- هَذَا الحَكِيمُ هُوَ صَدِيقِى ، ولَيْسَ عَدُوِّى - كَمَا تَزْعُمُ - لَقَدْ دَاوانِى مِنْ مَرَضِى الَّذِى حَارَتْ فِيهِ الأَطِبَّاء والحُكَماءُ ، فَكَيْفَ تَقُولُ عَنْهُ ذَلِكَ ؟!

فَقَال الْوَزِيرُ :

- لَيْسَ قَصْدِى سِوَى النَّصِيحَةِ أَيُّها الملِكُ ..



فَقَالَ المَلِكُ :

ـ لَقَدْ عَالَجَنِى بِدُونِ شَرَابٍ أَوْ دِهَانٍ ، بَلْ بِشَىْءٍ أَمْسَكْتُه فى يَدِى ، ولِذَلِكَ فَهُوَ مِنْ أَعَزِّ النَّاسِ عِنْدِى ، ومِنْ حَقِّهِ عَلَىَّ أَنْ أُقَرِّبَهُ وأُكْرِمَهُ ، وأُغْدِقَ عَلَيْهِ الأَمْوالَ والْهَدَايا ..

فَقَالَ الْوَزِيرُ :

ـ إِذَا كَانَ قَدْ عَالَجَكَ بِشَىْءٍ أَمْسَكْتَهُ فى يَدِكَ ، فَهُوَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقْتُلَكَ بِشَىْءٍ تُمْسِكُهُ فى يَدِكَ أَيْضًا ..

إِنْ كُنْتَ قَدْ أَحْسَنْتَ إِلَيْهِ وقَرَّبْتَهُ ، فَإِنَّهُ يُدبِّرُ لِهلاكِكَ ..

وظَلَّ الْوَزِيرُ الشِّـرِّيرُ يُرَدِّدُ عَلى مَسَـامِعِ المَلِكِ هَذَا الكَلامَ الْخَطِيـرَ ، حَتَّى اقْـتَنَعَ المَلِكُ أَنَّ الحَكِيمَ عَدُوٌّ لَهُ ، وقَـدْ يَكُونُ جَاسُوسًا أَرْسَلَهُ أَعْداؤُهُ لِهلاكِهِ .. فَقَالَ لِلْوَزِيرِ :

ـ وما الْعَمَلُ فِى هَذَا الأَمْرِ الخَطِيرِ ؟!

فَقَالَ الْوَزِيرُ :

ـ مِنْ رَأْيِى أَنْ تُرْسِلَ مَنْ يُحْضِرُهُ إِلَيْكَ الآنَ ، فَإِذَا جَاءَ ضَرَبْتَ عُنُقَهُ ، واسْتَرَحْتَ مِنْ شَرِّهِ .. ابْدَأْ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَبْدَأَ هُوَ بِكَ ..

فَقَالَ المَلِكُ :

ـ هَذَا هُوَ الرَّأْىُ الصَّوَابُ ..

وأَرْسَلَ المَلِكُ فِى الحَالِ مَنْ أَحْضَرَ لَهُ الحَكِيمَ (دوبَانَ) فَدَخَلَ عَلَى المَلِكِ وهُوَ فَرْحَانُ ، لا يَدْرِى ما دُبِّرَ لَهُ .. فَقَالَ لَهُ المَلِكُ :

ـ أَتَعْلَمُ أَيُّها الْحَكِيمُ لِماذَا أَحْضَرْتُكَ ؟!

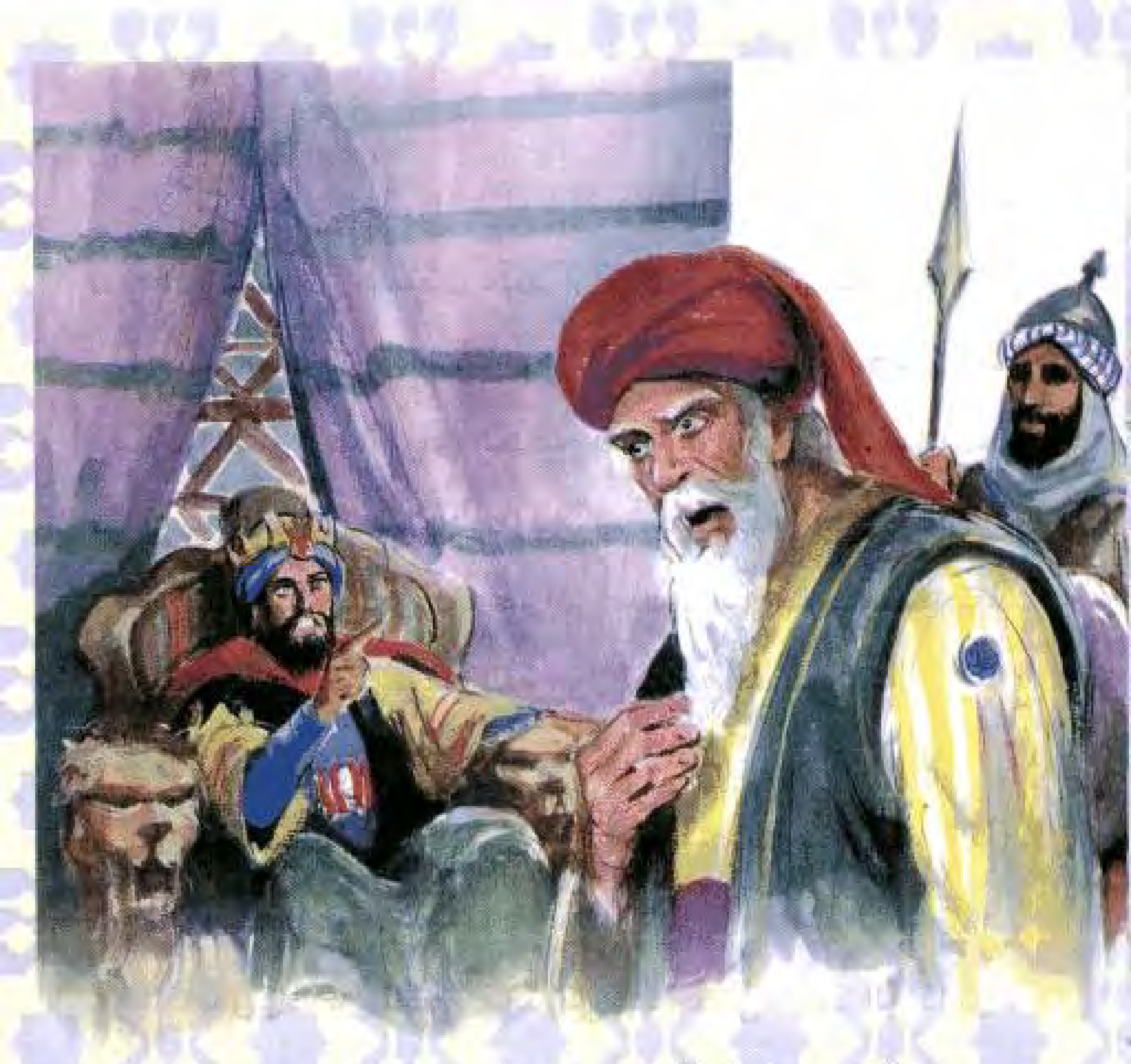
ـ فَقَالَ الحَكِيمُ :

ـ لا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ ..

فَفَاجَأَهُ المَلِكُ بِقَوْلِهِ :

ـ لَقَدْ أَحْضَرْتُكَ لأَقْتُلَكَ ..

فَتَعَجَّبَ الحَكِيمُ غَايَةَ الْعَجَبِ ، وقَالَ فِى أَدَبٍ :



ـ لِمَاذا تَقْتُلُنِى ، وأَىُّ ذَنْبٍ بَدَا لكَ مِنِّى ؟!

فَقَالَ الملِكُ :

ـ لَقَدِ اكْتَشَفْتُ أَنَّكَ جاسوسٌ ، وأَنَّكَ أَتَيْتَ لِكَىْ تَقْتُلَنِى ..

ولِهَذَا لابُدَّ أَنْ أَقْتُلَكَ ، قَبْلَ أَنْ تَقْتُلَنِى ..

ونَادَى الملِكُ السَّيَّافَ ، لِيَقْتُلَ الحكيمَ ، فَقَالَ الحكيمُ :

ـ أَيُّها الملِكُ لا تَقْتُلْنِى ، فَيُسَلِّط اللَّهُ علَيْكَ مَنْ يَقْتُلُكَ ..

فَقَالَ الملِكُ :

- لا آمنُ مَكْرَكَ حتَّى أقْتُلَكَ .. لقَدْ أبْرَأْتَنِى بِشَىءٍ أمْسَكْتُهُ بِيَدِى ، ولَيْسَ مِنَ الصَّعْبِ عليْكَ أنْ تَقْتُلَنِى بِشَىءٍ أشمُّهُ ..

وأشَارَ الملِكُ إلَى السَّيَّافِ أنْ (يُغَمِّىَ) وَجْهَ الحكيمِ ، ثُمَّ يَضْرِبَ عُنُقَهُ .. فلَمَّا رَأى الحكيمُ ذَلِكَ أيْقَنَ أنَّهُ هالِكٌ ، فتَأسَّفَ فى نَفْسِهِ علَى أنَّهُ صنَعَ الْمَعْرُوفَ فى غيْرِ أهْلِهِ ، فبَكَى وقَالَ :

- أيُّها الملِكُ ، أيكُونُ هذَا جَزَائى منْكَ ، علَى ما صنَعْتُهُ مَعَكَ مِنْ مَعْرُوفٍ ؟! أبْقِنِى يُبْقِكَ اللَّهُ ، ولا تَقْتُلْنِى فيَقْتُلَكَ اللَّهُ ..

فَقَالَ الملِكُ :

- لابُدَّ مِنْ قَتْلِكَ ..

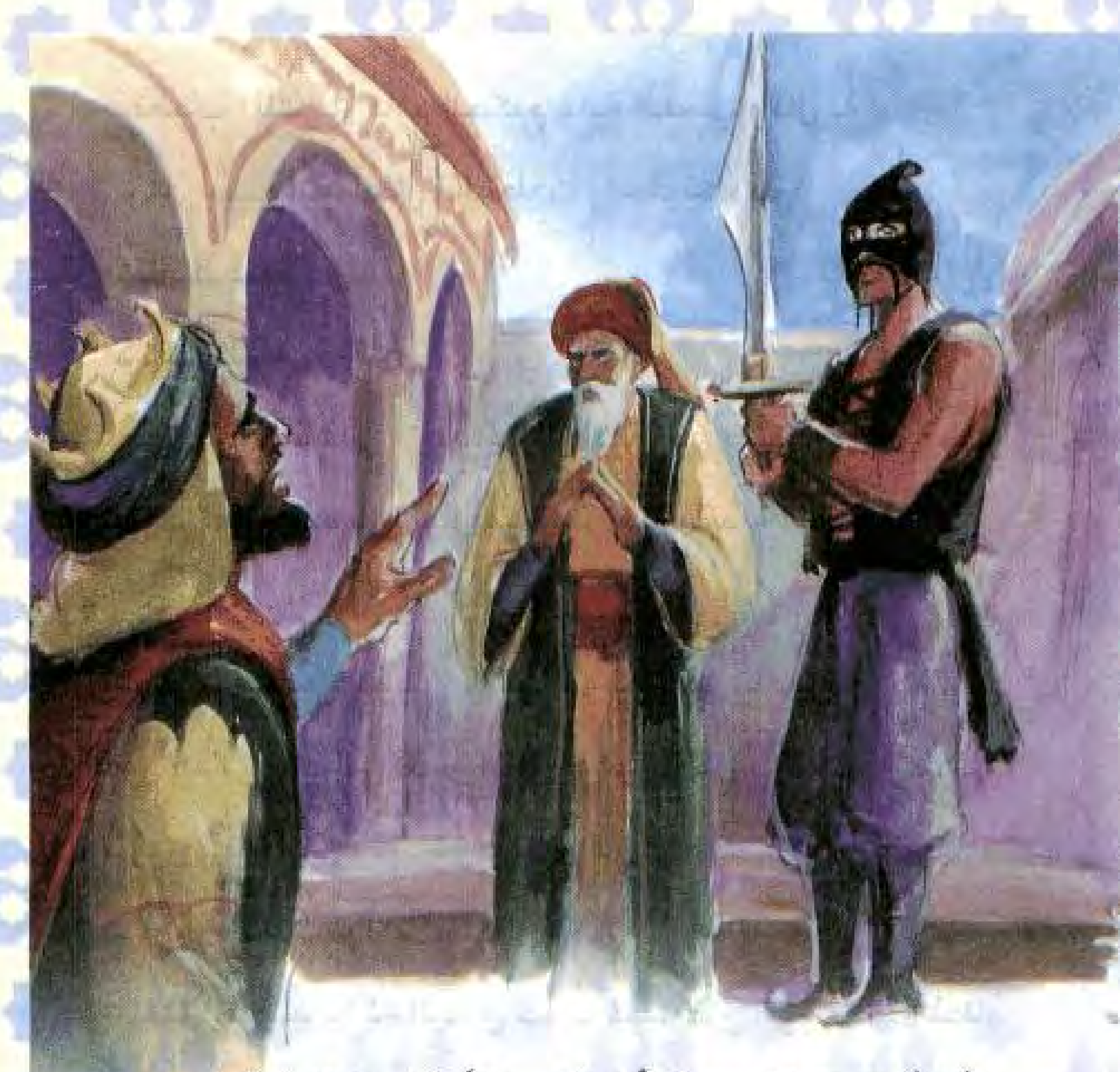
فَقَالَ الحكيمُ :

- إذَا كَانَ لابُدَّ مِنْ قَتْلِى ، فَأعْطِنِى مُهْلَةً حتَّى أذْهَبَ إلَى دارِى ، فَأُوَدِّعَ أهْلِى ، وأُوصِىَ بِأمْوالِى ، وأَهَبَ كُتُبَ الطِّبِّ الَّتِى عِنْدِى لِمَنْ يَسْتَحِقُّها ، فَأنَا عِنْدِى كِتَابٌ فِيهِ الكَثِيرُ مِنَ الْعَجَائِبِ ، دَعْنِى أهَبُه لَكَ ، حتَّى تَدَّخِرَهُ فى خِزانَتِكَ ..

فَقَالَ الملِكُ :

- وماذَا فى هذَا الكِتابِ الَّذِى تُرِيدُ أنْ تُهْدِيَهُ إلَّى ؟!

فَقَالَ الحَكيمُ :



- إِنَّ هذَا الكِتابَ فِيهِ مِنَ الْعَجَائِبِ والأَسْرارِ ما لا يُحْصَى ..

وأَقَلُّ ما فِيهِ مِنَ الأَسْرارِ ، أَنَّكَ إِذَا قَطَعْتَ رَأْسِى ، وفَتَحْتَ هذَا الكِتابَ ، وقَلَّبْتَ ثَلاثَ صَفَحاتٍ ، ثُمَّ قَرَأْتَ ثَلاثَةَ أَسْطُرٍ مِنَ الصَّفْحَةِ الَّتِى عَلَى يَسارِكَ ، فَإِنَّ الرَّأْسَ يُكَلِّمُكَ ، ويُجِيبُ عَنْ جَمِيعِ أَسْئِلَتِكَ ..

فَتَعَجَّبَ الملِكُ مِنْ كَلامِ الحكيمِ غَايَةَ الْعَجَبِ وقَالَ لَهُ :

ـ هَلْ أَنْتَ واثِقٌ أَنَّنى إِذا قَطَعْتُ رَأْسَكَ تَكلَّمتْ ؟!

فَقَالَ الحكيمُ :

ـ تَمامَ الثِّقَةِ ..

فَـوَافَقَ الملِكُ عَلَى أَنْ يَذْهَبَ الحَكِيمُ إِلَى بَيْـتِـهِ ، لإِحْـضَـارِ الكِتَابِ كمَا وَعَدَهُ ، وأَرْسَلَ مَعَهُ حُرَّاسًا أَشِدَّاءَ ، حَتَّى لا يَهْرُبَ مِنَ الْمَدِينَةِ ..

قَضَى الحكيمُ (دويَان) بَقِيَّةَ يَوْمِهِ ، فى تَدْبيرِ أَمْرِهِ ، وفى الْيَوْمِ التَّالى عادَ إِلَى قَصْرِ الملِكِ ، وهُوَ يَحْمِلُ مَعَهُ كِتابًا عَتيقًا ، وقارُورَةً فيها زِرّ وَرْدٍ .. ثُمَّ جلَسَ وقَالَ :

ـ أُرِيدَ طَبَقًا كبِيرًا ..

فَلَمَّـا أَحْـضَـرُوا لَهُ الطَّبَقَ كَتَبَ فِيـهِ بِزِرِّ الْوَرْدِ ، ثُمَّ أَعْطَاهُ لِلْمَلِكِ ، وأَعْطَى لَهُ الكِتابِ قَائِلاً :

ـ إِذَا قَطَعْتَ رَأْسِى ، فَضَعْهَا فى هَذَا الطَّبَقِ ، وافْتَحِ الكِتَابَ لِتَقْرَأَ مِنْهُ كمَا أَفْهَمْتُكَ ، وسَوْفَ أُكلِّمُكَ ، وأَرُدُّ عَلَيْكَ بِإِذْنِ اللَّه تَعالَى ..

فَقَالَ الملِكُ :



ـ وماذَا أَقْرأُ ؟!

فَقَالَ الحكِيمُ :

ـ افْتَحِ الكِتَابَ وسَوْفَ أُعلِّمُكَ ماذَا تَقْرأُ ..

وحاوَلَ المَلِكُ فَتْحَ الكِتَابِ ، فَوَجَدَ صَفَحَاتِهِ مَلْصُوقَةً فى بَعْضِها ، فَوَضَعَ أُصْبُعَهُ فى فَمِهِ وبَلَّه بريقِهِ ، حَتَّى فَتَحَ أوَّلَ

صَفْحَـةٍ بِصُعُوبَةٍ ، وهكَذَا أَخَذَ يَبلُّ أُصْبُعَهُ فى كُلِّ صَفْحَةٍ ، حتَّى فَتَحَ سِتَّ صَفْحات ولَمْ يَجِدْ كَلِمَةً واحِدَةً مَكْتُوبَةً ، فَقَالَ :

- أَيُّها الحكيمُ ، لَقَدْ قَلَبْتُ سِتَّ صَفَحَاتٍ ولَمْ أَجِدْ شَيْئًا .. !

فَقَالَ الحكيمُ :

- اسْتَمِرَّ فى تَقْليبِ الصَّفحاتِ ، فَهَذَا مِنْ أَسْرارِ الكِتابِ ..

واسْتَمَرَّ الملِكُ يَبلُّ أُصْبُعَهُ بِريقِهِ ويُقَلِّبُ الصَّفحاتِ ، حَتَّى سَرَى السَّمُّ الَّذِى وَضَعَه الحكيمُ فى الْوَرَقِ فى جَسَدِهِ فماتَ فى الحالِ .. ونَجَا الحكيمُ بِعِلمِهِ وحِكْمَتِهِ مِنَ الْمَوْتِ ..

(تمت)

رقم الإيداع : ٤٣٧٩

الترقيم الدولى : ٥ ـ ٣٤٦ ـ ٢٦٦ ـ ٩٧٧